النهار
٢٠٠٤/٦/٤

أزمة اللاعب الكبير

كان يلزم ان ينعقد الاجتماع الوزاري لدول "اوبيك" وسط ارتفاع قياسي لاسعار النفط العالمية، وعلى ارض عربية غير خليجية، حتى تشعر المملكة العربية السعودية مجدداً انها دولة كبيرة. فالمملكة تعيش منذ فترة اسوأ ازمة عرفتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. سياستها الخارجية في ازمة رغم نشاط ديبلوماسيتها، وسياستها الداخلية ايضاً في ازمة رغم تنشيط مشاريع الاصلاح.

في السياسة الخارجية، تبدو الازمة متعددة الوجه. عنوانها الاساسي، طبعاً، فقدان الثقة بين السعودية والولايات المتحدة منذ ان اكتشف الاميركيون ان حلفهم الوثيق مع آل سعود حجب عنهم خطر الاسلام الجهادي الذي تغذى من الوهابية، واكتشف السعوديون بدورهم انهم لم يعودوا في منأى عن الاستعداء الاميركي للعرب، بل ربما صاروا يتصدرون قائمة الاستهداف. ويأتي الاحتلال الاميركي في العراق، بما يعنيه للمملكة من تجاور مع القوة العسكرية الاميركية، ليفاقم هذا الشعور بالاستهداف، وخصوصاً اذا تذكرنا ان احد الحوافز للتخلص من نظام صدام حسين كان الرهان على تأمين بديل نفطي للسعودية يمكّن الولايات المتحدة من التعامل بجدية مع المسألة الوهابية، ان بتفعيل الحملة من اجل الديموقراطية، او بوسائل ضغط اكثر مباشرة.

واذا كان المآل المتعثر للاحتلال الاميركي للعراق قد جمّد حكماً المشاريع الهادفة الى تغيير السعودية تغييراً كاملاً من الخارج، الا ان وجود العراق ضمن دائرة التأثير المباشر للولايات المتحدة يشكل عنصراً ضاغطاً باستمرار على الموقع السياسي للمملكة. ويزيد من حدة الضغط التموضع الاستراتيجي الاميركي في كل الدول الاخرى من الجزيرة العربية، ولا سيما اليمن وقطر والبحرين. وفي كل من هذه الدول الثلاث جاء الوجود الامني او العسكري الاميركي ليعزز نزعة كانت موجودة اصلاً لممانعة القيادة السعودية.

كذلك انعكس الفتور في العلاقات الاميركية - السعودية على الدور الذي حاولت المملكة ان تؤديه منذ ثلاثة عقود في قيادة الجهود الديبلوماسية العربية المتصلة بالقضية الفلسطينية. وقد ظهر التراجع جلياً في هذا المجال خلال القمة العربية الاخيرة، بل منذ قمة بيروت. فرغم زيارة ولي العهد الامير عبد الله الى مزرعة الرئيس بوش في صيف ٢٠٠٢، بدت السعودية خارج اللعبة الديبلوماسية، ولم يكن لها وزن يُذكر في "خريطة الطريق" ولا في ما تلاها. فلا هي حاولت نهي الرئيس الاميركي عن استمرار دعمه المطلق لحكومة شارون، ولا تدخلت في تفعيل السلطة الفلسطينية، على غرار ما تسعى اليه مصر.

بيد ان المؤشّر الاكثر خطورة على ازمة السياسة الخارجية السعودية يكمن في الشلل الذي اصابها امام مشروع "الشرق الاوسط الأكبر" ومطالب الاصلاح الموجهة الى الدول العربية مجتمعة. هكذا كانت السعودية من القوى الكابحة لتبلور مقاربة عربية جماعية لمسألة الاصلاح. وكان غياب الامير عبد الله عن القمة العربية خير دليل على هذا الانطواء السعودي. والحال ان السعودية، رغم محاولات وزير خارجيتها الامير سعود الفيصل، كانت مدفوعة الى الاكتفاء بالحد الادنى في مسألة الاصلاح العربي. فالمسألة ليست في فاعلية الديبلوماسية، بل هي انعكاس مباشر لأزمة السعودية الاخرى والاخطر، اي الازمة الداخلية المستفحلة كما اكدت ذلك احداث الخبر الاخيرة.

النهار
٢٠٠٤/٦/٤

يستطيع المسؤولون السعوديون ان يقنعوا انفسهم بأن منشآتهم النفطية آمنة، على ما قاله في بيروت وزير البترول علي النعيمي، اذ جزم بأن "الاعتقاد ان الارهاب يهدد جميع المنشآت في المملكة، وهم". لكن الخطر في السعودية يتجاوز منشآت النفط، وقد اقر بذلك الوزير النعيمي في المناسبة نفسها حين اعتبر ان "العامل الرئيسي وراء ما يجري الآن في الاسواق هو تصوّر شح مستقبلي سينجم عن عدم الاستقرار في الدول المنتجة". الحقيقة ان "عدم الاستقرار في الدول المنتجة" ليس ما يخيف الاسواق، بل ما يخيفها هو حصراً عدم الاستقرار في المملكة العربية السعودية. في ازاء هذا القلق، قد تنفع زيادة الانتاج المقررة في بيروت في خفض سعر النفط في الامد المنظور. وقد تنجح السعودية في البروز مجدداً كلاعب كبير وصديق للغرب على الساحة النفطية. لكن القلق لن ينتفي، وبحق. ولا يزيله التمييز الرسمي السعودي بين المتطرفين و"المحافظين جداً". على العكس تماماً، ان مثل هذا التمييز هو دليل على الاستخفاف بحدة الازمة الداخلية، اذ يوحي ان الحكام السعوديين لم يعزموا بعد على تغيير البيئة التي يتغذى منها الارهابيون.

كان ماو تسي تونغ يقول ان الثائر يجب ان يكون وسط الشعب مثل السمك في الماء. هذا تحديداً ما بلغه دعاة الجهاد في السعودية حيث تؤكد الحادثة بعد الاخرى ان اعضاء "القاعدة" واشباهها يملكون امتدادات متشعبة في المجتمع، وربما ايضاً في اجهزة الدولة. ويعني ذلك ان الازمة بلغت حداً لا يمكن مداواتها بالامن وحده، وان يكن الامن مطلوباً. بل ان كل تأخر في الاصلاح الذي دعا اليه الامير عبد الله، سوف يعزز موقع اتباع بن لادن الذين من يملكون المبادرة الآن. والاحرى انهم سيظلون يملكون المبادرة ما دام الحكام السعوديون يحجمون عن مزاحمتهم.

التحدي ليس بسيطاً بالنسبة الى مملكة تأسست على قراءة صارمة للدين وعاشت بموجبها، قبل ان تصير مهددة بها. لكنه تحد لم يعد ممكناً تجنبه، وان يكن يمكن تحسين شروط من يرفعه. وانجع وسيلة الى ذلك هي محاربة الفقر، الظاهرة - الفضيحة في بلد مثل السعودية، من خلال نظام جديد لتوزيع الثروة، وتوسيع المشاركة السياسية بحيث يجد المواطنون ما يعوضهم تبديل البيئة الاجتماعية والفكرية التي اعتادوا عليها.

سمير قصير

النهار
٢٠٠٤/٦/٤

Id-Reference	**04-Pr-000641**	
Media	**(Support)**	HC
Title		أزمة اللاعب الكبير
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٦/٤ 4/6/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	أمير.عبد.الله – شارون – أسامة.بن.لادن – جورج.بوش – ماوتسي.تونغ – سعود.فيصل – علي.نعيمي
	Locations	مصر – دول.خليج – سعودية – ولايات.متحدة – فلسطين – عراق – يمن – قطر – بحرين – بيروت
	Dates	٢٠٠٢
	Themes	دول.خليج – نفط.عربي – سعودية – سياسة.سعودية – قوات.أميركية – علاقات.أميركية.سعودية – "خريطة.طريق" – ديبلوماسية.عربية – اميركا – احتلال.عراق - محاربة.فقر – أوبيك – آل.سعود – ديموقراطية – قضية.فلسطينية – اسلام.جهادي – وهابية – عرب – نظام.صدام.حسين – قمة.عربية – قمة.بيروت – مشروع.شرق.أوسط.كبير – ارهاب – متطرفين – ارهابيون – القاعدة –
Subject		